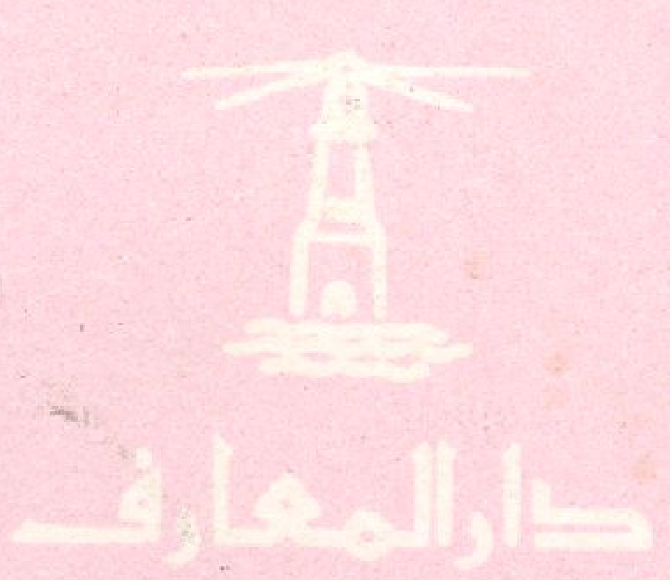
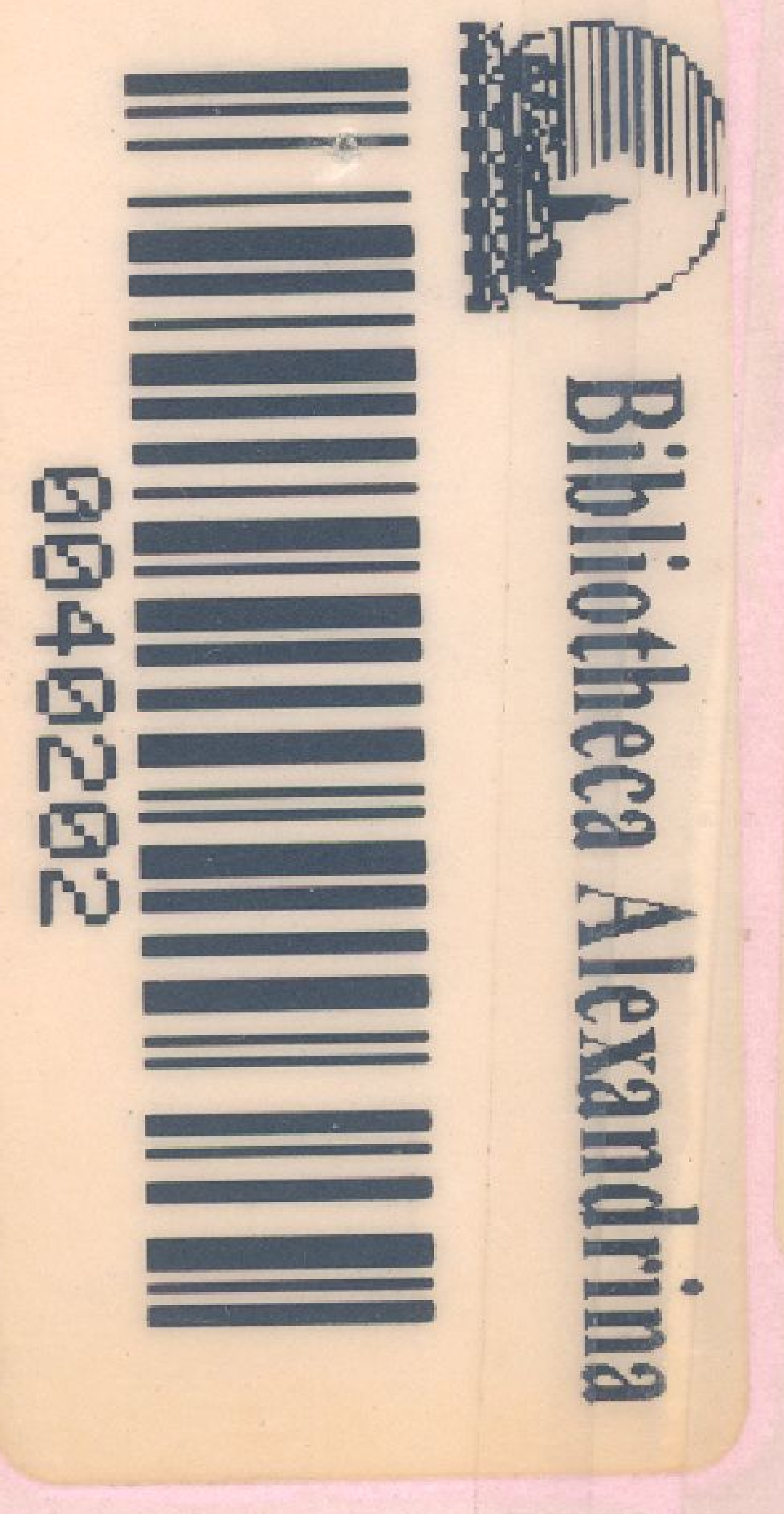
كتابك

١٥٦

سهير جاد

الإذاعة ومشكلة الثقافة





كتابك ١٥٦

رئيس التحرير أنيس منصور

سهير جاد

الإذاعة ومشكلة الثقافة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة الثقافة

نحاول فى هذا البحث أن نتعرف على مشكلة الثقافة فى الإذاعة المسموعة ، وتأسيساً على أن الثقافة كمضمون لا تنفصل فى يسر عن الوعاء[1] الإذاعى فإن هذا البحث يحاول أن يتعرف أولاً : على الثقافة كمضمون ، وآخراً : على « الوعاء الإذاعى » الذى ينقل هذه الثقافة من خلال « البرامج الثقافية » .

ونبدأ أولاً بتحديد ماهية الثقافة ، ثم نتحدث بعد ذلك عن التكامل بين الشكل الإذاعى والمضمون الثقافى فى البرامج الثقافية .

الثقافة كمضمون :

حدث خلاف كبير بين العلماء حول مفهوم لفظ « ثقافة » ، ولذلك فإن تعريف الثقافة بإزاء البرامج الثقافية الإذاعية – يقتضى بالضرورة استبعاد عدد كبير من المعانى التى ترتبط عادة بلفظ « الثقافة » . ولا تود

---

(1) د . عبد الحميد يونس : « الثقافة والجماهير » – محاضرات ألقاها فى هيئة الاستعلامات القاهرة ١٩٧٢ .

الباحثة أن تدخل فى تفاصيل المعانى المتعددة لهذا اللفظ الذى يبدو أنه يزداد تعقيداً وغموضاً كلما ازداد تداولاً بين الناس ، ولكن تكفى الإشارة بوجه عام إلى أن لفظ « الثقافة » ظل طوال السنوات الأخيرة يزداد اتساعاً بالتدريج[(١)] .

فالثقافة بالمعنى الذى يستخدمه به علماء الاجتماع المعاصرون تكاد تشير إلى كل ماتدخلت فاعلية الإنسان فى صنعه ، أى : كل ما هو مضاد لنتاج الطبيعة التلقائى ، أى : أن العلم والأخلاق والتكنولوجيا والفن والدين ثقافة ، وأبسط محاولة من الإنسان لتجاوز مستوى الحياة الطبيعية المباشرة ، ولتعديل ردود أفعاله وتكييفها وفقا للظروف المحيطة به – تنتمى إلى مجال الثقافة . وبطبيعة الحال فإن هذا المعنى العظيم الاتساع يختلف إلى أبعد حد والمعنى الذى ظل الناس يستخدمون به لفظ الثقافة ردحاً طويلاً من الزمان : ويعنى به تلك الدرجة الرفيعة من الكمال العقلى الذى تُضفيه المعرفة ورهافة الحس على الإنسان : فإذا سأل سائل عن المعنى المقصود حين نستخدم الثقافة فى هذا البحث فإن الإجابة ستكون أقرب إلى المعنى القديم الضيق للفظ الثقافة ، أى أن البحث لا يتحدث عن الثقافة من حيث هى نتاج لكل فاعلية إنسانية تسعى إلى

---

(١) د. فؤاد زكريا : « الإذاعة المرئية والثقافة العربية المعاصرة » فى حلقة الإذاعة المرئية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – مرجع سبق ذكره ص ١١٦٥ .

تجاوز الطبيعة ، بل يتحدث عن الثقافة الرفيعة[١] ، ولكن هذه الثقافة المنشودة مشكلة فى ذاتها .

فهل يستطيع تيار الحضارة الآلية الحديث – كما هى الحال بالنسبة للراديو أن يحل محل التربية التقليدية التى ساعدت على ظهور العبقريات التى أكسبت حياتنا منذ البعث العلمى إلى اليوم ذلك النبل وتلك القوة اللذين ننعم بهما الآن ؟

وهذا التساؤل يلخص مانعنيه « بمشكلة الثقافة » فى سياق الحديث عن الراديو كوسيلة ثقافية ، ونعرض هنا لاتجاهين ، خالصين حول هذه المشكلة :

الاتجاه الأول :

اتجاه متشائم يذهب إلى أن ثقافة الجماهير تذيب الفوارق الثقافية الموجودة ، والتى يعتبرها « جورج ديهاميل » [٢] من مقومات الفردية الخالقة Individualisme ، تلك الفردية التى يعتبرها روح الخير القوامة على جماعاتنا البشرية ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى

---

(١) فاروق شوشة : البرامج الثقافية بين الوحدة والتنوع-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ٦٥ .

(٢) جورج ديهاميل (ترجمة الدكتور محمد مندور) : الدفاع عن الأدب – دار الكاتب العربى بدون تاريخ ص ٣٤ .

أن هـذه « الفردية الخالقة » تمحى ويحل محلها مذهب « الطابعية » Conformisme التى يقصد بها أن يكون الناس كلهم على طابع واحد ، فهى على هذا المعنى ضد الفردية ، كما أنها أى الطابعية تقترن باقتصار ثقافة الجماهير على الترفيه والإمتاع لأكبر عدد ممكن من الناس (١) .

ذلك أن الاستخدام الشائع لاصطلاح « الثقافة الجماهيرية Culture de masse يشير إلى السلع المصنعة فقط من أجل السوق الجماهيرية التى تقدم صوراً منطبعة ، والتى يستجيب لها الجمهور بشكل غير نقدى ، وعلى عكس ثقافة « الصفوة » أو الثقافة الرفيعة التى تقدم مضموناً تراعى فيه التقاليد الجمالية ، وتتسم استجابة الجمهور لها . على هذا المضمون بالحاسة النقدية نجد الثقافة الجماهيرية موصوفةً ومكتوباً عليها أن يكون مستواها الثقافى أدنى من مستوى الثقافة الرفيعة . ويقول المفكر ريتشارد هوجارت : إننا يجب ألا نهتم بالثقافة « الرفيعة » والثقافة « الهابطة » ولكننا يجب أن نميز بين « الجيد » و « الردىء » داخل الثقافة الجماهيرية ويذهب الباحث ماكدونالد إلى أن هناك ثلاث ثقافات مختلفة فى المجتمع الجماهيرى (٢) :

---

(١) Chèrif Khazendar: "Radio et culture de Masse" dans Grandeurs et Faiblesses de la radio" par Jean Tardieu, Unesco 1969 P.190

(٢) د . جيهان رشتى : الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٣٨١ .

١ – الثقافة الرفيعة أو الراقية .

٢ – الثقافة الجماهيرية .

٣ – الفن الشعبى .

والثقافة الرفيعة أو الراقية : هى الثقافة التى امتدحها دى توكفيل وديهاميل وأضرابهما وهى تشير إلى العمل الدءوب الذى تقدمه الموهبة العظيمة والعبقرية ، وهو العمل الذى يحاول أن يصل إلى أقصى درجة أو أعلى درجة من أجل الفن . هذا العمل صنعته الصفوة المثقفة ، أو تم صنعه تحت إشراف تلك الصفوة الثقافية ، وأفراد تلك الصفوة هم القمة بين الرجال فى مجالات التعليم والجماليات والتربية .

أما الثقافة الجماهيرية : فهى تشير إلى السلع الثقافية التى تنتج فقط من أجل السوق الجماهيرية ، وهى سلع متماثلة ومتشابهة ؛ لأنها تميل إلى إرضاء أذواق جمهور غير متنوع . ووفقاً لتوكفيل فإن هذه « الثقافة الجماهيرية » تجذب ، ولكنها ليست أصلية تماماً ؛ لأنها تهدف إلى الاستهلاك الجماهيرى ، وليس إلى تحقيق الكمال . ومن الأمور التى تميز الثقافة الجماهيرية أنها تجعل الجمهور يهتم بالرموز التى تتناول الأشياء العامة والاهتمامات البعيدة ، وأنها تعتمد على اتلك الأشياء والاهتمامات (مثل القومية المتطرفة ، والحب الشديد للوطن ، أو الوعى الطبقى الماركسى ،

أو العنصرية)[1] .

أما الفن الشعبى : فهو الموهبة الطبيعية عند الشخص العادى الذى ينتمى إلى الطبقات الشعبية ، ويتم التعبير عنه بالأغانى الشعبية والرقص الشعبى والرسوم البدائية وما شابه ذلك[2] .

والثقافة الجماهيرية تستمد مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية ، ولقد كانت ثقافة الصفوة قبل انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية فى القرن التاسع عشر منفصلة تماماً عن الثقافة الشعبية ، ولكن الثقافة الجماهيرية التى استمدت مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية أصبحت تختلف تماماً وهاتان الثقافتان . وحطمت الثقافة الجماهيرية الجدار الذى كان يفصل بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية ، وأدمجت الثقافة الجماهيرية قطاعات الشعب المختلفة ، وقدمت لها ، كما يقول البعض « ثقافة رفيعة هابطة »[3] .

(١ ، ٢ ، ٣) د . جيهان رشتى : المرجع نفسه ص ٣٩١ .

ولكن لماذا تعتبر الثقافة الجماهيرية مشكلة ؟

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن هذه الثقافة تنطوى على خطرين جسيمين[1] :

الأول : الخطر الكامن فى محو الثقافة الشعبية .

والآخر : الخطر الكامن فى تهديد الثقافة الرفيعة ، بل وتهديد وجودها ذاته تأسيساً على القول المأثور : إن « الثقافة الرديئة تمحو الثقافة الجيدة » .

ويقول الباحث دوايت **ماكدونالد** : إن مستوى الثقافة الجماهيرية قد ارتفع بشكل كبير مع تطور وسائل الإعلام وازدياد قدرتها ، ولكن التحسن الذى ظهر هو نفسه إفساد للثقافة العليا « فما من شيء أكثر فجاجة من الثقافة الجماهيرية المتطورة »[2] .

الاتجاه الآخر :

وهناك اتجاه متفائل ، يذهب إلى أن الطابع الأساسى لثقافة الجماهير — هو ما يتسم به هذا الطابع من عالمية ؛ إذ نجد « لأول مرة

---

(١) Chèrif Khazendar: Op. cit. p. 190

(٢) د . جيهان رشتى : المرجع نفسه ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

أعضاء المجتمع جميعا يشتركون فى إطار دلالى موحد cadre de referenc ، ونجد كذلك لأول مرة ، برغم عدم انتشار المساواة الاجتماعية أن جميع الأفراد يكتسبون المواطنة الثقافية »[١] . ويذهب أصحاب هذا الاتجاه ، تأسيساً على ذلك ، إلى أن ثقافة الجماهير أيا كانت تخرج الكتل الجماهيرية من ظلام الجهل ، ومن حلكة الروتين الذى تعيش فيه من ذى قبل[٢] .

وهنالك مدلولان للثقافة أولها عام ، والآخر خاص .

(ا) المدلول العام للثقافة :

مستخلص من الدراسات الإنثروبولوجية ، ويتلخص فى هذا التعريف[٣] :

« الثقافة كل معرفة ، وكل خبرة ، وكل مهارة يمكن أن يحصلها الفرد من إطاره الاجتماعى بوسائل التحصيل المختلفة : كالتجربة والخطأ ، والمحاكاة ، والتلقين المباشر والانخراط فى المؤسسات النظامية المصطلح على تسميتها بالمؤسسات التعليمية ، وهى مؤسسات تعترف الهيئة

---

(١) Chèrif Khazendar: Op. cit. p. 190

(٢) Lucien Karpif, 'Spècificitè de la sociologie amèricaine Le Monde, suppl. au no 7056, 20 Septembre 1967.

(٣) د . عبد الحميد يونس : « الثقافة والجماهير » محاضرات ألقاها فى هيئة الاستعلامات ١٩٧٢ .

الاجتماعية بحدودها وبرامجها ومراحلها ، وتشترط شيئاً من الإشهار العلنى الذى يؤكد أن الفرد قد حصل على معرفة من درجة معينة ومن نوعية معينة » .

(ب) المدلول الخاص للثقافة :

سنجد أولاً عندما نتحدث عن المؤسسات الدولية – أن هناك منظمة اليونسكو[١] وهى « منظمة التربية والعلوم والثقافة » ، وفى هذه التسمية نجد اصطلاحاً أخص ، لأن « العلم » معرفة وخبرة ، وكذلك « التربية » أيضاً نوع من الخبرة ونوع من تنظيم السلوك الفردى والاجتماعى ، فالتربية خبرة كما أنها تصدر عن معرفة .

أما « الثقافة » فقد اتخذت دائرة أضيق وهى « دائرة المعارف والخبرات ، والمهارات التى يحصلها الأفراد أو تحصلها الجماعات عن غير طريق التربية بمنظماتها ومناهجها المعروفة ، وعن غير طريق المناهج العلمية بالمفهوم العلمى الطبيعى القائم على التجربة والملاحظة » .

وحين نتحدث عن البرامج الثقافية فى الراديو فإننا نقصد المدلول الخاص للثقافة حيث تنتقل الثقافة عن غير طريق « التربية » إلى الأفراد عبر وسيلة اتصال جماهيرى هى « الإذاعة المسموعة » ، وهنا نرقى درجة أخرى فى البحث لنقف عند الإذاعة وانتشار الثقافة .

---

(١) د . عبد الحميد يونس : « الثقافة والجماهير » محاضرات ألقاها فى هيئة الاستعلامات ١٩٧٢ .

الإذاعة وانتشار الثقافة

لئن تعددت الثقافات وتباينت باختلاف المجتمعات وتباينها — إنها ليست منقطعة الصلة ، لأن العالم وحدة واحدة ، ولأنه قد حدث احتكاك قديم وحديث بين الشعوب بسبب الهجرة والحروب والغزوات والاحتلال وبسبب التبادل التجارى الذى يحتمه اختلاف حاجات الإنسان واختلاف البيئات فى المناخ والتضاريس والتربية ومن ثم اختلاف الإنتاج . . وفى ، العصور الحديثة زاد الاتصال بين أجزاء العالم المختلفة بسبب سهولة المواصلات وتقدم الاختراعات وخاصة الإذاعة وتداخل المشكلات السياسية والاقتصادية [١] .

وهناك آراء مختلفة فى انتشار الثقافة Culture diffusion

فثمة رأى يعتقد أن لكل من الانماط الثقافية أصلاً واحداً ، فقد وجدت فى مجـال ثقافى واحـد Culture erea ، ثم انتشرت بعد ذلك إلى بقية أجزاء العالم ، وتعبر عن هذا الرأى نظرية الانتشار الثقافى المطلق Pure Culture diffusion

---

(١) د . ماهر كامل وأمين عبد الله صالح : ثقافة أساسية ص ١٦ – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٧ .

وهناك رأى آخر يقول : إن تشابه الظروف فى بعض المجالات الثقافية مع تشابه الطبيعة الإنسانية كان سبباً فى ظهور أنماط ثقافية متشابهة فى أكثر من مجال ثقافى واحد ، ومن هذه المجالات انتشرت هذه الأنماط الثقافية ، وتعبر عن هذا الرأى نظرية الأصول الثقافية المستقلة[١] Cultural independent Origins

وكذلك نذكر أن انتشار الثقافة : إما أن يكون بطريق موجه كما يحدث فى أحوال الغزو والاحتلال أو البعثات التبشيرية أو العلمية ، أو عن طريق غير موجه كما يحدث عند انتقال الأفراد للزيارة المؤقتة أو الهجرة واقتباس النمط الذي يبدو ملائما للاستفادة منه . وفى الإنسانية أمثلة كثيرة لانتشار الثقافات مثل : الأفكار الدينية ، والأنظمة السياسية من ديمقراطية أو ديكتاتورية ؛ ومن نظم اقتصادية من رأسمالية واشتراكية ، وكذلك انتقال الفنون وتأثرها بعضها ببعض . ومن الأمثلة الطريفة صليب آيرلندا الذى نقش عليه باللغة العربية لفظ « الله » ، وكذلك عملة الملك Offa التى نقشت عليها عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله »[٢] .

أما فى العصر الحديث فإن انتشار الثقافة ماثل للعيان فالمخترعات

---

(١) Bogardus, E.S. Sociology, Macmillan, N.Y. 1950 P.49

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام– مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .

الحديثة قد عمت كل مكان بسبب سهولة المواصلات وترابط مشكلات العالم[1] .

وقبل أن ننظر فى انتشار الثقافة من خلال برامج الإذاعة – لابد أن نسجل أن الثقافة كمضمون لا يمكن أن تنفصل فى يسر عن الوعاء الذى يحملها ،[2] والوعاء هنا وسيلة الاتصال الإذاعى بالجماهير ، وهى وسيلة تحدد معالم برامجها الثقافية ، من حيث طبيعة الثقافة من ناحية ، وديموقراطيتها من ناحية ثانية ، وطبيعة الفن الإذاعى وخصائصه من ناحية ثالثة ، بحيث تيسر للجمهور الحصول على الثقافة دون عناء .

فالبرامج الثقافية فى الإذاعة ، تتحمل مسئولية تطوير الإنتاج الثقافى من ناحية وتيسيره للناس من ناحية أخرى ، فتتحقق بذلك الركيزتان اللتان تقف عليهما الثقافة : التقدم المستمر فى غير تراخ ، وتحقيق الديموقراطية العقلية والوجدانية فى المجتمع .

ويستلزم هذا من الإذاعة أن تبحث دائماً عن صيغ جديدة مبسطة تقدم فيها هذه البرامج الثقافية . ويصبح من واجب الفنانين والمثقفين أن يشاركوا الإذاعة فى الوصول إلى صيغ ملائمة يقدمون بها ثمرات الفكر وزهرات الفن على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة دون أن يمس ذلك

---

(١) د . ماهر كامل وأمين عبد الله صالح : ثقافة أساسية المرجع نفسه ص ١٦ .

(٢) الدكتور عبد الحميد يونس : الثقافة والجماهير – المحاضرة الثالثة هيئة الاستعلامات ١٩٧٢ .

المستويات ذات القيم الكبرى فى الإنتاج الثقافى إلا دفعاً لها إلى مزيد من التفوق والإجادة .

وتنص كل قوانين الإذاعات التى تنفق عليها الدولة كالإذاعة المصرية أو تلك التى تحميها قوانين الدولة للانفراد بالإذاعة فى أراضيها نتيجة الحصول على نسبة معقولة من حصيلة رخص حيازة الأجهزة المستقبلة – تنص على أن « هيئة الإذاعة » تستهدف ثلاثة أغراض هى : الإعلام والتثقيف والترفيه ، أى : أن من واجبها أن تقدم لجمهور المستمعين فى دائرتها الأخبار ، والمواد التى ترفع من مستواهم الثقافى ، والمواد التى ترفه عنهم [١] .

ولما كانت الإذاعة تقدم خدماتها لجميع المواطنين على اختلاف أذواقهم وميولهم وأعمالهم – أصبح من الضرورى أن تتنوع برامج الإذاعة وفقا لأهدافها إلى :

- برامج الإعلام .
- برامج الترويح .
- برامج التثقيف .

وقبل أن نتحدث عن هذه البرامج – نرى من الأوفق أن نشير إلى أهمية الإذاعة وتفوق أثرها فى مجتمعنا المصرى العربى ، وهى العوامل التى

---

(١) عبد الحميد الحديدى : « الإذاعة وسيلة حديثة للثقافة : مجلة الفن الإذاعى » ع٢ م ١ يناير ١٩٥٧ .

يمكن ذكرها على النحو التالى :

١ – إن ارتفاع نسبة الأمية فى المجتمع ضاعفت من أهمية الإذاعة كوسيلة للتثقيف وجعلها تتميز عن غيرها من أجهزة الثقافة الأخرى : ذلك لأن الاستماع إلى الكلمة المنطوقة من الراديو لا يحتاج إلى معرفة بأصول القراءة والكتابة ، كما هى الحال بالنسبة للصحيفة أو المجلة أو الكتاب .

٢ – إن الاستماع إلى الإذاعة يمثل موقفاً من المواقف الاجتماعية إذا ماقورن بقراءة كتاب أو بالاطلاع على صحيفة ، فالمستمع يتفاعل هو وصوت المتحدث أو المذيع بفضل ما تثيره طريقة الإلقاء أو تنغيم الصوت من معان واستجابات ومشاعر ، ولذا كانت البرامج الإذاعية بفضل هذه المزية أكثر قدرة على الإيحاء ، وأدعى إلى استقرار الأفكار أو المشاعر التى يحاول المذيع أن ينقلها إلى المستمع .

٣ – إن التحصيل الثقافى عن طريق الراديو لايحتاج إلى جهد كبير إذا ماقورن بالقراءة التى تتطلب مجهوداً عقلياً وعصبياً لاتتطلبه الإذاعة وهذا يزيد من إقبال الجماهير عليها . إن مطالب الحياة المعاصرة تدفع بالإنسان إلى تلمس وسيلة للتثقيف لاتتطلب جهدا كبيراً كالإذاعة .

٤ – تعتبر الإذاعة أكثر شمولاً من غيرها من وسائل الثقافة العامة لتنوع برامجها وموضوعاتها وطرق أدائها ؛ مما يقلل من جفاف المعلومات ومن حاجة المستمع إلى التركيز العقلى .

٥ – تقابل الإذاعة مختلف الأذواق والميول والحرف ، بسبب تنوع برامجها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الإنسانية ، فوق أنها تستخدم لغة مفهومة للجميع [١] .

ونظراً لهذه الأهمية البالغة للإذاعة فى مصر فقد أشرفت عليها الدولة إشرافا كاملاً ، وأولتها من العناية ما يتكافأ هو ورسالتها فى المجتمع [٢] .

ويزيد من أهمية الإذاعة وشدة إقبال الإنسان المعاصر عليها أنها تمثل أقل الجهود فى تحصيل الثقافة هى والسينما والمسرح إذا قيست هذه الأجهزة بالقراءة التى تتطلب مجهوداً عقليًّا وعصبيًّا لايتطلبه الراديو [٣] : فالراديو يستمد قوته من قانون إنسانى عام هو قانون أقل الجهود ، وجاذبية هذا القانون للإنسان المجهد فى عصرنا الحاضر [٤] .

وإذا كنا نخلص من كل ماتقدم الى أن الراديو قد أصبح من أكثر أجهزة الثقافة انتشاراً وقوة وإقبالا من الناس – فقد بقى علينا أن ننظر فى مدى قدرة هذا الجهاز على تثقيف الناس وإعدادهم للحياة الحق ، وللقيام بهذه الدراسة – يجب أن ننظر للراديو ومثله التليفزيون والسينما على أنها سلسلة من الاكتشافات ومجموعة من العمليات الفيزيقية والعقلية ،

---

(١) الدكتور حامد عمار وآخرون : المجتمع العربى ص ٤٢ – القاهرة ١٩٦١ .

(٢) الدكتور سمير محمد حسين : بحوث الاعلام – القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٤١ .

(٣ ، ٤) الدكتور محمد مندور : الثقافة وأجهزتها – دار المعارف – القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٦ .

العلمية والثقافية ، الفردية والجماعية ، بعضها قديم ، وبعضها الآخر جديد متجمع وغير واضح[١].

لقد استعملت ألفاظ هذه الاكتشافات ، التى أصبحت واقعاً فى معجمنا السمعى والمرئى ؛ لتضع وسائل تكنية كبيرة فى خدمة الاتصال الإنسانى والثقافى والفنى وتختلف الإذاعة المسموعة والمرئية والمسرح والفنون التشكيلية : كالتصوير والنحت ، من حيث إن الإذاعة ومايشبهها من وسائل الاتصال الجماهيرية ، كالسينما والتليفزيون – إنما هى أساسا وسائل ميكانيكية للنقل والتسجيل للنشر ، فهى تقوم بإذاعة كل ما يوضع أمامها من مواد ، مهما كانت طبيعتها[٢] . ويمكن أن نتبين خطر الإذاعة ومايشبهها حين نقارنها بالسوبرمان ، على حد تعبير « جان تاردو »[٣] ؛ إذ الإنسان هو الذى اكتشف هذا الجهاز الجماهيرى الخطير ، وهو الذى أبدعه ولكن الإذاعة مع ذلك كالسوبرمان تظل أقوى من الإنسان ، حينما نسمع شخصاً من الأشخاص فى أحد الأحاديث « إن الراديو قال ذلك ، رأيت فى التليفزيون ذلك . إنهما

---

(١) Jean Tardieu: 'La radio au carrefour des arts et des techniques" dans: 'Grandeurs et faiblesses et la radio", Unesco-Paris 1969. P. 18

(٢) مارتن أسلن (وترجمة الدكتور إبراهيم إمام) : « التليفزيون بين الكم الجماهيرى المطلوب ، والكيف الفنى المعروض » مجلة العلم والمجتمع الطبعة العربية من مجلة Impact ع٣م١ ٥ يونيو ١٩٧١ .

(٣) Jean Tardieu: Op. cit. p. 18

لايمكن أن يخطئا»[١] .

ويذهب « مارتن أسلن »[٢] إلى أن الأثر المترتب على صفة الاستمرار التى تتسم بها طريقة عرض المواد من أجل الترفيه هو الخلط بين المميزات الكيفية لهذه الأنواع المختلفة من المواد . ولقد أبرز « كلود أولييه Claude Allier » المؤلف المسرحى الفرنسى هذه الخاصية المزعجة لوسائل الإعلام فى تمثيلية إذاعية تبين منها فى نهاية الأمر أن اغتيال أحد رؤساء الدول نتيجة إعداد مسبق قامت به إحدى هيئات الإذاعة نظراً لاحتياجها إلى موضوع إخبارى واقعى مثير نابع من مصدر الأحداث مباشرة . وإن الأنباء التى تنشر من وقت لآخر عن تأخير تنفيذ أحكام الإعدام ، أو إعدادها لمصلحة مصدرى التلفزيون فى بعض الحروب الأهلية الأفريقية لتدل على أن الكاتب الساخر لم يكن فى هذه الحالة مبالغاً .

إن المسرحة المتزايدة للسياسة والحياة العامة ، وكذلك اختيار المرشحين فى الانتخابات على أساس قابلية وجوههم للتأثر بمستحضرات التجميل (الماكياج) ، فضلا عن إدارة الحملات الانتخابية على أساس الخصائص الإذاعية للموضوعات بدلاً من إدارتها على أساس الأهمية الحقيقية للمشكلات – كل هذه الأمور ناجمة فى نهاية الأمر عن الحاجة الشديدة الملحة للمادة الترفيهية ؛ كما أنها تنجم عن إصرار

(١ ، ٢) Jean Tardieu: Op. cit. P.18

المشاهدين على ضرورة التسرية عنهم بطريقة ملائمة فى أى وقت يشعرون فيه بحاجتهم إلى التحول بأذهانهم أو عقولهم من الوعى الفردى إلى الوعى الجمعى [١] .

ومن ناحية أخرى لاينبغى أن نتغاضى عن الآثار الإيجابية والمفيدة لذلك الكم الهائل من المواد التى تصور الأحداث الواقعية ، ونصف الواقعية ، وشبه الواقعية والتى تتدفق من الإذاعة والتليفزيون ، فقد ترتب على تبعية السياسة والشئون العامة لصناعة الترفيه وتفرعها عنها أن أصبحت هذه المسائل أكثر قرباً إلى ملايين الناس الذين لم يعنوا بالتفكير فيها من قبل ، ومن جهة أخرى ، فلقد كانت قدراتنا قديماً تتميز بالانتباه الإيجابى والبطء فى البحث والتفكير المثمر ، ولكن فى الوقت الحاضر يمكن القول : إن الوسائل الحديثة تحول التراث الذى فى الفن والفكر والسياسة إلى قوة محركة ولكنها مرهونة بزمن معين . إن هذه الوسائل – كما يقول جان تاردو [٢] – تعرض لنا قيمة أعلى تعايش السرعة والترفيه والهجوم الخاطف المفاجئ ، وذلك كله كبديل للتوازن السكونى القديم .

على أن الإذاعة المسموعة والمرئية معاً – ليستا وسيلتين لنشر المعرفة بين الجمهور العريض فحسب ، ولكنهما تشتركان فى تغيير محتوى هذه

---

(١) مارتن أسلن : المرجع نفسه ص ٥٢ – ٥٣ .

(٢) ean Tardieu: "Grandeurs et faiblesses de la radio" Paris 1969. Op. cit. P. 20

المعرفة وشكلها معاً . ونحن نعرف أن كل ما يذاع أو يرى – يجب أن يخضع لتحولات ترتبط بفنية الفن الإذاعى المسموع أو المرئى ، وهى تحولات تغير فى شكل المادة الثقافية وغيرها تغييراً عميقاً . وينتج عن ذلك كما يقول « أسلن »[١]: إن المادة المذاعة فى نظر المستمع أو المشاهد تغدو شيئاً من نوع واحد برغم أنها فى الحقيقة خليط من مواد متنافرة أشد التنافر بأعمق ماتؤديه هذه الكلمة من معنى ، من حيث الكيف . أو كما يقول « تاردو »[٢] فإن هذه المواد المتنافرة تغدو عند المستمع أو المشاهد كحقائق موضوعية ، حتى لو كانت مجرد قصص خيالى ، أو قد ينظر إلى الحقيقة الموضوعية على أنها مجرد خيال محض . وفى ذلك ما يجعل من الإذاعة المسموعة والمرئية شاهدين على القلق الكبير الذى يميز عالمنا الإنسانى اليوم[٣] . وإن ذلك الطفل الذى لاحظ عند رؤيته لأول هبوط على سطح القمر أنه قد شاهد من قبل معالجة تليفزيونية لهذا الموضوع بطريقة أكثر إثارة فى حلقة من مسلسلة علمية خيالية منذ وقت طويل مضى – هذا الطفل قد سلط الأضواء على مشكلة حقيقية ذات آثار مفزعة ، على المدى الطويل[٤] .

ومهما يكن من شيء فإننا نتجه إلى الإفادة من الراديو كوسيلة للمعرفة

---

(١) مارتن أسلن : مرجع سبق ص ٥٠

(٢ ، ٣) Jean Tardieu, Op. cit, P. 24

(٤) مارتن أسلن : مرجع سبق ص ٥١ .

والثقافة ، ويقتضى ذلك الاتجاه ، أن ننظر إلى أن تاريخ العلم والتاريخ العام – قد أثبتا أن كل وسيلة من الوسائل الهامة الجديدة حين تظهر – لاتقضى على كل الوسائل والأدوات والأجهزة السابقة عليها ، ولكن هذه الوسيلة الجديدة إنما اكتشفت ؛ لتضيف أو لتندمج هى وهذه الوسائل السابقة ، لتصلح من أخطائها ، وتسد ثغراتها ، وتتجه بها نحو الإفادة العامة[1] .

وعلى امتداد تاريخ الثقافة – نلاحظ هنا نوعاً من التوازن والتعاقب بين القيم الملموسة للغة المرئية التى تسيطر عليها الصورة ، وكذلك الحال فى الإذاعة المسموعة التى تعتمد على اللغة والصوتيات من ناحية ، ومن الناحية الأخرى القيم المجردة للكلمة المكتوبة المعتمدة على التعبير الهجائى والعلامات الرياضية والنوتة الموسيقية . . إلخ

ونخلص مما تقدم إلى عدة ملاحظات يسيرة ، يمكن إجمالها فيما يلى :

١ – إن الراديو ، من وجهة نظر القائمين بالعمل الإذاعى ، شأنه فى ذلك شأن التليفزيون – وسيلة جماهيرية مؤثرة ، بمعنى أنه ليس أداة إعلام وترفيه ووسيلة ثقافة وتعليم فحسب ، ولكنه أيضاً وسيلة ذات تأثير تتمتع بقوة أدبية معنوية واجتماعية وتفرض هذه النظرة على الدارسين إجراء دراسات نفسية على الصعيدين الفردى والجمعى لإمكان تحديد سلبيات هذه الوسيلة الجماهيرية .

---

(١) Jean Tardieu, Op. cit, P. 24.

٢ – إن الراديو ، وكذلك التليفزيون ، من وجهة نظر المستهلك – يبدوان نوعاً من الإبداع أو الصناعة الكمية ، على حين تغدو الرسائل الإعلامية والثقافية غذاء ثقافيًّا تقدمه هاتان الوسيلتان الجماهيريتان ، ولكنه غذاء فى شكل قطرات المطر ، كما تقدم ، أو غذاء يشبه غذاء الأسماك .

٣ – إن الراديو يقوم بتزويد الجماهير بزاد ثقافى عن تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها فى المجتمع المتحضر الذى يتميز بظهور « علوم وفنون وتخصصات بالغة التجريد والتعقيد »[1] تجعل الإذاعة حلاًّ لصياغة المعرفة ، الأمر الذى يجعل من البرامج الثقافية وسيطًا بين الخبير المتخصص من ناحية والرجل العادى من ناحية أخرى . وفى هذا الصدد يقول الكاتب الأمريكي والتر ليمان[2] : « إن المجتمع الحديث لا يقع فى مجال الرؤية المباشرة لأحد ؛ كما أنه غير مفهوم على الدوام ، وإذا فهمه فريق من الناس فإن فريقاً آخر لا يفهمه ! »

وهكذا تقوم وسائل الإعلام عامة والراديو خاصة بالتبسيط والتفسير والتكامل ، والتوصيل الجيد للمعرفة بأشكالها وأنواعها المختلفة للفئات المختلفة من الشعب ، وذلك فى مختلف برامجه ، وخاصة تلك التى تعالج جوانب الثقافة .

---

(١) ، (٢) دكتور إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٧ –

وعندما نتحدث عن وسائل الاتصال بالجماهير فإننا نواجه بالغموض الذى نشأ فى الرأى العام بين الوسيلة أو الوعاء والمضمون الذى تنقله [١] فإذا افترضنا أن « الثقافة » هى المضمون الذى تقدمه الإذاعة كوسيلة أو وعاء ثقافى – فإن الإذاعة لاتخرج عن كونها أداة للنشر والتعبير ؛ فهى امتداد تكنولوجى للغة والكلمة والإيماء . ولقد استخدمت وسائل الاتصال منذ عصر التدوين إلى عصر المطبوع فى الكتاب والصحيفة كأوعية للثقافة ، لذلك لم يقتل الراديو الكتاب ، كما لم يقتل التصوير الفوتوغرافى الفن التشكيلى ولا السينما قضت على المسرح ، ذلك أن جميع الوسائل القديمة والجديدة تتكامل بعضها وبعض فى أداء الوظيفة التثقيفية ، ولكن هذه الوسائل فى تكاملها لا يلغى بعضها بعضاً ، وإنما تتقدم باستمرار لأداء وظائفها على نحو أشمل [٢] .

ويشهد عصرنا الحاضر ظواهر لهذا التقدم الاتصالى : فالكتاب والأسطوانة مثلاً وسيلتان مستقلتان إلى جوار الراديو يؤديان معه الوظيفة التثقيفية فضلاً عن كتب الجيب والمسارح الإقليمية والشعبية والمجلات والصحف ، كل هذه الوسائل تنمو وتتقدم ويتكامل بعضها والبعض الآخر فى تحقيق وظائف الاتصال ، فالإنسان فى حاجة « دائماً إلى وسيلة تراقب له الظروف المحيطة به ، وتحيطه علماً بالأخطار المحدقة به

---

(١) Jean Tardieu: "Grandeurs et faiblesses de la Radio, Op. P. 19

(٢) Ibid, P. 25.

أو الفرص المتاحة له ، وسيلةٍ تقوم بنشر الآراء والحقائق وتساعد الجماعة على اتخاذ القرارات ، وسيلةٍ تقوم بنشر القرارات التى تتخذها الجماعة على نطاق واسع ، وسيلةٍ تقوم بنقل حكمة الأجيال السابقة ، والتطلعات السائدة فى المجتمع إلى الأجيال الناشئة .

٤ – تعتمد الإذاعة المسموعة على التبسيط والتجسيد والتصوير والواقعية الحية مستعينة فى ذلك بفنون الإخراج الإذاعى من موسيقى ومؤثرات صوتية ، ومستعينة فى ذلك بتطبيقات البلاغة الجديدة ، وإمكانات الكلمة المنطوقة فى إفساح مجالات التخيل والتصور والتفكير أمام المستمع وذلك أن الراديو ينتمى إلى عائلة وسائل الاتصال السمعية ، بمعنى أنه فى مقدوره أن يرسل أصواتاً تحمل رسائل متنوعة الأشكال هادفة إلى العديد من الأغراض التى من بينها الأعراض ذات الطابع التشقيقى .

٥ – الإذاعة المسموعة استمدت المادة لبرامجها من الفنون السابقة على وجودها فى المجتمع ، كما نجد بالنسبة للموسيقى والغناء ، فقد أفادت من المسرح والسينما ولاءمت بين طبيعتها وطبيعة الوسيلة الجديدة ، ومثال ذلك يتضح فى التمثيلية الإذاعية فهى مأخوذة أصلاً عن المسرحية كما عرفها الناس على المسرح ، ومرت بمراحل إعداد خاصة ، كما يتضح فى الحديث الإذاعى المأخوذ عن المقال ، والخبر الإذاعى المنقول عن

الصحافة[1] . هذا الإعداد أو هذه الملاءمة للفنون التى فى المجتمع ؛ لكى تصبح صالحة إذاعيًّا ، يجعلنا نفتر من أن الإذاعة فى مقدورها أن تنقل الثقافة إلى جمهورها من خلال الإفادة من وسائل الاتصال الأخرى : كالكتاب والصحيفة والمجلة والمسرح والسينما .

٦ – أدركت الحكومات أهمية الإذاعة المسموعة لما تتميز به من إمكانات ضخمة فى نشر الثقافة والوعى السياسى والتعليم والدعاية ، لذلك فرضت عليها نوعاً من الرقابة سواء كان ذلك فى إنجلترا أو أمريكا أو فى غيرهما من البلدان ، على أن هذه الرقابة والسيطرة تختلف شدة ولينا : فبينما نجد الرقابة فى الدول ذات النظام الإذاعى التجارى خفيفة هينة نجد أن الحكومات المستبدة أو الديكتاتورية تفرض على برامج الإذاعة رقابة قاسية وتستغلها للدعوة لمذهبها السياسى[2] .

وفى مصر ألغت الحكومة الإذاعات الأهلية نهائيًّا فى عام ١٩٣١ ، وتم الاتفاق بين الحكومة وشركة ماركونى على إنشاء محطة إذاعة لاسلكية وفقاً لنصوص المعاهدة الدولية للبرق واللاسلكى المنعقدة فى واشنطن عام ١٩٢٧ والتى كانت مصر قد اشتركت فيها . وفى ٣١ من مايو ١٩٣٤ تم افتتاح الإذاعة المصرية . ولاعتبارات قومية أنهى عقد شركة ماركونى ،

---

(١) أنور المشرى : « البرامج الإذاعية وإخراجها » فى « فن الإذاعة » سرس اللبان ص ٤٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٩ .

وتسلمت وزارة الشئون الاجتماعية الإذاعة اللاسلكية فى ٤ من مارس ١٩٤٧ . ونظرا لما وضح من الأهمية الكبرى للإذاعة بوصفها أداة تثقيف ووسيلة إرشاد للرأى العام الداخلى والخارجى عن شئون البلاد ، ورغبة فى تحويل الإذاعة اللاسلكية استقلالاً يساعدها على تحقيق هذه الأهداف – فقد رئى أن يستقل هذا الجهاز اعتباراً من ١٨ من مايو ١٩٤٧ وأن يشرف عليه مجلس أعلى يوجه سياسته العامة ويتابع البرامج التى تحقق هذه السياسة .

وتؤكد القوانين التى صدرت بشأن الإذاعة المصرية الغرض الذى افترضناه حول إدراك الحكومات للدور الثقافى للإذاعة المسموعة : فى عام ١٩٤٩ صدر القانون ١٨ بإلحاق الإذاعة المصرية برئاسة مجلس الوزراء بأن تكون لها الشخصية المعنوية ، وفى ١٠ من نوفمبر ١٩٥٢ صدر المرسوم بقانون ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ بإنشاء وزارة للإرشاد القومى وألحقت الإذاعة المصرية بها نقلاً من رئاسة مجلس الوزراء ، وصدر القرار الجمهورى ١٨٣ لسنة ١٩٥٨ بإلحاق الإذاعة برئاسة الجمهورية وفى ١٩٥٩ صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٧١٧ بتنظيم إذاعة الجمهورية العربية المتحدة وبمقتضى هذا القانون اعتبرت الإذاعة مؤسسة عامة لها الشخصية الاعتبارية ، وأطلق عليها إذاعة الجمهورية العربية المتحدة « وحددت المادة الثالثة من هذا القرار عملها بالمشاركة فى التوجيه القومى العام ورفع مستوى الشعب ثقافيًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا ، كما

نص القرار على أن تسعى الإذاعة لعدة أغراض في مقدمتها النهوض بمستوى الفنون بجميع أنواعها ، والمساهمة في نشر الثقافة بين الأوساط الشعبية ، وإحياء التراث العربي الأدبي والعلمي والفني ، وإطلاع الشعب على خير ما أنتجته الحضارة الإنسانية ، وتشجيع المواهب في شتى نواحي الفكر والإبداع .

وفي عام ١٩٧١ صدر القانون رقم ١ بإنشاء اتحاد الإذاعة والتليفزيون الذى نص على أن يتولى شئون الإذاعة المسموعة والمرئية في مصر وتكون له الشخصية الاعتبارية ويتبع وزير الإعلام ، وأكدت المادة الثانية من هذا القانون الدور الثقافي للإذاعة ضمن أهداف الاتحاد .

٧ – تمتاز الإذاعة المسموعة بحيوية تنبض في الصوت الإنساني وفي الموسيقى وفي الأحاديث المباشرة ، وهي مميزات تعاون في تقديم الثقافة من خلال الراديو تقديماً مستساغاً للمتلقى ، كما أن الإذاعة المسموعة لاتتطلب من المستمع معرفة القراءة والكتابة والهجاء واستعمال النظر في المتابعة وقلب الصفحات وهي من مستلزمات الكلمة المطبوعة لايتطلبها الاستماع الإذاعي .

ومن المعروف أن الراديو « عاجز عن أن يعكس أو يرد الشيء بكامله إلى المستمع ، فهو يلجأ إلى الكلام ، وفي هذه الحالة لايستطيع أن يصل إلا للون من الإبداع الأدبي ، أو إلى الصورة الصوتية أى إلى استثارة

الخيال البعيد فى تشكيل الصورة الغائبة . إن الميكروفون لا يستطيع أن يلتقط الواقع الملموس ، وهو من هذه الناحية لايمكن أن نعتبره أفضل من الكتاب ، إنه ينشئ بوسائل سمعية واقعاً وهميًّا يمكن أن يسهم فى إعداد ما يتجاوز الواقع »[1] .

واستثارة الخيال فى الفن الإذاعى من الخصائص التى تتيح له مسرحية الثقافة : فالبرامج الثقافية التى تبسط الثقافة بتقديمها على شكل مسامع حية تتميز بجذبها للانتباه عن طريق خلق جو انفعالى جديد .

٨ – إن الفن الإذاعى يخلق حالات نفسية خاصة ، حيث يتوجه إلى الفرد فى خصوصية . . وإن عالمى الكلام أو الموسيقى يؤثران فى لاشعورنا ليحثانا على الإخلاد إلى راحة مطلقة حتى ينطلق الخيال بحرية على حين ينتزعنا التليفزيون من أنفسنا ؛ لأنه أقوى ويفرض نفسه على شخصيتنا . ومن الناحية الفكرية ؛ فالراديو أقرب إلى الكتاب ، ويظل من هذه الناحية تجريديًّا وينقل رسالته بالتصور فى حين يظل التليفزيون فى نطاق المحسوس[2] .

وإذا كان الراديو يعد من وسائل الاتصال القومية ، فإن ذلك يشير إلى أهميته التثقيفية ، حيث يمكن أن يصل إلى جميع السكان بسهولة

---

(١) دكتور خليل صابات : « الإذاعة والتليفزيون . . الواقع والخيال » – مجلة الإذاعات العربية . نوفمبر ١٩٧٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

متخطياً حاجز الأمية والحواجز الجغرافية . . ويستطيع الراديو أن يصل إلى جماعات خاصة مثل الأفراد الكبار السن والأطفال ، والذين أقل تعليماً والمتعلمين ، وغير ذلك من الجماعات المختلفة التى قد يصعب علينا الوصول إليها بوسائل الإعلام الأخرى .. ولايحتاج الراديو إلى أى مجهود من جانب المستمعين . وحيث إن غالبية الناس أصبحوا مشغولين وليس لديهم وقت للتفرغ للقراءة أو المشاهدة — أصبح الراديو هو الوسيلة السهلة التى تبقيهم على علم بما يحدث . والرسالة المذاعة قد تكون أكثر فاعلية من الرسالة التى تنقل بالاتصال المواجهى ، لأنه يمكن تقويتها بالموسيقى والتأثيرات الخاصة التى تترك انطباعاً قوياً . وقد أظهرت التجارب أن المواد البسيطة السهلة التى تقدم بالراديو يسهل تذكرها مما لو قدمت مطبوعة وخاصة بين الأفراد الذين أقل تعليماً وذكاء[1] .

ولعل فى ذلك ما يدعو إلى افتراض أن الراديو يمكن أن يساهم فى القضاء على أمية الفكر ولاسيما أن المجتمع المصرى يعانى من أمية الحرف حيث تصل نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ثلاثين فى المائة ، وفضلاً عن ذلك فإن مجرد الإلمام بالقراءة والكتابة لا يكفى وحده أن يجعل من الإنسان مواطناً مثقفاً ، وإنما يجب أن يكون قادراً على استخدام إلمامه بالقراءة والكتابة فى الاستمرار فى تحصيل المعرفة ومتابعة تقدم الإنسانية فى مختلف ميادين العلوم والفنون .

---

(١) د . جيهان رشتى . المرجع السابق ص ٣٤٣ .

من هنا كانت مقدرة الراديو على مواجهة أمية الفكر عند المتعلمين وغيرهم على السواء – ميزة أساسية للإذاعة المسموعة التى تنتشر بين جميع أفراد المجتمع : فهناك من الكبار من فاتهم فرصة التعليم ، وهناك من المتعلمين من ارتدوا إلى أميتهم ، ومن هنا كذلك تبرز أهمية الإذاعة المسموعة كوسيلة تثقيفية تكمل رسالة المدرسة والأسرة ، ومسئولة عن تكوين رأى عام مستنير ؛ كما أنها مسئولة عن تعبئة الموارد البشرية .

٩ – يصل الراديو إلى الجمهور بطريقة مختلفة غالباً عن الطرق التى تصله بها الوسائل الأخرى فالراديو يقدم للمستمع درجة ما من المشاركة فى الأحداث الفعلية المذاعة ، وذلك بحكم كونه أكثر اقتراباً من الاتصال الشخصى . . والاتصال المواجهى ، ويتميز الراديو بقدرات عالية فى الإقناع والتأثير ، لأنه عادة ما يكون الوسيلة الأولى فى تقديم المواد للجمهور إلا أنه ليس هناك من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو أو يرفضه .[١]

وهذه القدرات ترتبط بما استحدثته الإذاعة من آثار حاسمة فى عالم الفنون ذلك أنها أصبحت كالسينما تعتمد على أساليب خاصة فى الكتابة إليها مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحركة الناطقة من ناحية

---

(١) D.M. White "Mass Communications; Research: A view in perspective" in Dexter and White, pp. 521—546 (eds. people Society and Mass Communication (Glencoe. Illinoios), 1964).

الجماهير التى تفيد من البلاغة الجديدة ؛ ذلك لأن السينما كالمسرح من حيث إن الجمهور يحتشد فى صعيد واحد ؛ لتلقى الفن والتفاعل معه ، أى أن العقلية الجماعية تتغلب إلى حد ما على العقلية الفردية ، ويقتضى ذلك توقيتاً محكماً للعروض ، كما يقتضى إطاراً معيناً وسباقاً زمنياً لاينبغى تجاوزه إلا بالحد المعقول . أما الإذاعة فالمستمعون إليها فرادى ولو اجتمعوا فى أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم ، ومعنى هذه الحقيقة أن الفرد تغلب عليه عقليته ، ولايذوب تماماً فى العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين ، ولذلك يتسم الحديث الإذاعى مثلاً بأنه موجه إلى أفراد .. إنه يختلف هو والخطبة ، ويختلف هو والحوار فى المسرحية أو الفيلم ، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها وأصولها ، إلى أخرى لها شخصيات أخرى[1] .

ومن البديه أن تفيد الإذاعة فى تقديم الثقافة للجماهير من الفنون الزمنية كلها ، حيث تعود الأغنية والموسيقى بفضل الراديو إلى مجدهما القديم ، وتستغل فنون العرض والتمثيل الإذاعة استغلالاً كاملاً . ولقد وُجِد أنها من أصلح الأوعية لنشر المسرحيات على نطاق أوسع من حدود دور التمثيل ، وكل ما احتاجت إليه بلاغتها الجديدة هو الاستعانة براوية فى المواقف الغامضة ، والتنبيه إلى الحركة والنقلة ، ولم يكتف القوامون

---

(١) د. عبد الحميد يونس : «اللغة الفنية» مجلة عالم الفكر – الكويت – أبريل ١٩٧١ .

على الإذاعة بتجاربهم ، ولكنهم طلبوا الإتقان بمراجعة ما يقدمون للمستمعين ، وتم لهم ذلك بفضل استغلال أجهزة التسجيل الصوتى التى أتاحت لهم المراجعة والتنقيح قبل العرض ، ولكن الإذاعة تعرضت لما تعرضت له الأوعية الثقافية ذوات الإنتاج الكبير لتعدد المحطات ، وطول الساعات ، والتنوع الواجب فى البرامج ، والتجديد المستمر فى المادة المذاعة ، كل أولئك جعل البرامج تميل فى معظم أنحاء العالم أى : الكم أكثر مما تميل إلى الكيف وتترخص فى الارتجال فى بعض الأحيان[1] .

١٠ — سجل المفكرون للإذاعة المسموعة أنها تعين على ديمقراطية التثقيف ؛ لأنها تتيح للأفراد والجماعات فى كل مكان أن تفيد من المعرفة وأن تتذوق الفن ، وأنها أقوى من الطباعة فى تأصيل هذه الديمقراطية الثقافية ، ومن هؤلاء المفكرين أفراد حاولوا التبشير ببلاغة جديدة ، وكان على رأس هؤلاء برنارد شو ، وبخاصة عندما عين مقرراً لمجلس الإذاعة البريطانية ، وضم هذا المجلس علماء فى الصوتيات والنفس والتربية إلى جانب الفنون والمتخصصين فى الإذاعة ويذكر الجيل الماضى المناظرات والدراسات والتعليقات الكثيرة على هذا الوسيط الثقافى ، وبرزت تساؤلات لها قيمتها ، منها : البحث عن طبيعة الجماهير التى تتلقى الإذاعة ، وعن الوحدات والأنماط التى تتألف منها ، وحرص بعض

---

(١) د . عبد الحميد يونس : « اللغة الفنية » مجلة عالم الفكر — الكويت أبريل ١٩٧١ .

المعنيين بالفكر والفن على الإشارة إلى البرامج الثقافية [١] ، واستخدمت الإذاعة منهج العمل الميدانى وقياس الرأى العام فى تفهم حاجات الجماهير ، وحاولت ولاتزال تحاول – أن تصل ما بين الإنتاج من ناحية وبين التلقى من ناحية أخرى . وهذا ما سارت عليه أوعية الثقافة على اختلافها ، فقد افتنت فى وضع الأسئلة التى تكشف عن رغبات المفيدين من هذه الوسائط على تباعد ديارهم ، وتباين مهنهم بعد ذلك بتحليل الإجابات لكى تفيد من النتائج فى وضع البرامج ، وتلبية ما يطلبه أولئك وهؤلاء من آداب وفنون رسمية وشعبية [٢] .

ونخلص مما تقدم إلى أن الإذاعة اللاسلكية بين وسائل الاتصال بالجماهير – لم تكن إحلالاً لتيار الحضارة الآلية الحديث محل التربية التقليدية التى ساعدت على التلوين الثقافى ؛ وإنما عززتها ، ودعمت أساليبها ؛ كما أسهمت فى تحقيق ديمقراطية الثقافة ونشرها بين الجماهير ، وليس يخشى من هذه الوسيلة الجديدة على الفردية الخلاقة Individualisme على النحو الذى ذهب إليه ديهاميل . من أن الناس سيصبحون جميعاً نسخاً متشابهة لا أصالة منها ، فتصير عقليتهم عقلية القطيع ، ذلك أن الأفراد يختلفون اختلافاً كبيراً من حيث قدرتهم على الاتصال من ناحية ، ومن حيث الفرص الاتصالية السانحة أمامهم

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .

من ناحية أخرى ، وحيث يلاحظ أن الفروق الفردية فى القدرة الموروثة والاستعداد والتمرين والمعرفة تقف حائلاً دون ... المشاركة المتساوية فى ثقافة مجتمع معين فى فترة معينة ؛ كما نجد أيضاً فى مجال الأشكال الكلامية – مدى واسعاً من الألفاظ يتفاوت الناس وفقاً له تفاوتاً كبيراً ، وملحوظاً[١] ، وهنا نقول : إن الاتصال قد يوسع مجال الاهتمام دون أن يصاحب ذلك تعمق أو اتساع فى مجال الفهم المتعلق بالثقافة فبينما يتعلم قارئ الصحف شيئاً عن السياسة الأمريكية أو الروسية أو الإنجليزية أو الفرنسية فإنه عادة ما يكون على قدر ضئيل من الفهم بالنظم السياسية الأمريكية والروسية أو الإنجليزية والفرنسية[٢] .

(١، ٢) W. Albig, Modern Public Opinion, N.Y.Mc. Graw-Hill Book Company, 1956, pp. 34—65

البرامج الثقافية

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تعريف البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة على أنها :

البرامج التى تقدم من إذاعة « عامة » وليست متخصصة كإذاعة البرنامج الثانى – تبسيط موضوع أو فكرة ثقافية فى صورة إذاعية مقبولة تقوم على الإفادة من إمكانات الفن الإذاعى تتميز بالتجديد والتبسيط فى تقديم ثمرات الفكر والفن والعلم على أوسع نطاق وفى أرحب دائرة دون أن يمس ذلك المستويات ذات القيم الكبرى فى الإنتاج الثقافى إلا دفعاً لها إلى مزيد من التفوق والإجادة :

فالبرامج الثقافية فى الإذاعة العامة كالبرنامج العام فى مصر مثلاً لا تتوجه إلى الصفوة ، وإنما تتوجه إلى الجماهير كلها ، والإذاعة بذلك تسعى إلى تحقيق المدلول الخاص للثقافة من حيث تقديم المعارف والخبرات والمهارات للمستمعين ، والبرامج الثقافية تقوم كذلك بالتقريب بين أصحاب الثقافتين : العلمية والأدبية ؛ كنتيجة لما لوحظ من جهالة الأدباء بالعلم ، وجهالة العلماء بالأدب ، كما سيجىء .

ونخلص من ذلك إلى أن البرامج الثقافية هى التى تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بهدف تثقيفه ، وهى التى تتوجه إلى ذوى الثقافتين العلمية

أو الأدبية من جهة أخرى بهدف تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما تختلف فروعها ومهما تكن مادتها . وينبغى أن يقوم البرنامج الثقافى على عدة معايير أساسية :

(١) معايير البرنامج الثقافى :

١ – أنْ يفيد من إمكانات الإذاعة فى تقديم الثقافة للجماهير فى شكل مستساغ سمعيًّا .

٢ – أنْ يعتمد على تبسيط الثقافة تبسيطاً لا يهبط بمستواها ؛ وإنما يجعلها مفهومة .

٣ – أن يتخطى عقبات الملل الذى يصاحب المادة الجافة من خلال استخدام العناصر الدرامية ووسائل جذب الانتباه .

٤ – أن تتنوع البرامج الثقافية بحيث تحقق التكامل بين فروع الثقافة المختلفة .

٥ – أن ترتبط هذه البرامج الثقافية بمفهوم الثقافة باعتبارها كياناً له مقوماته التى تميزه عن التعليم من ناحية وعن الإعلام والترشيد من ناحية أخرى .

(ب) البرامج الثقافية وانتشار الثقافة :

وتأسيساً على هذا الفهم – فإن البرامج الثقافية تتمثل طبيعة الانتشار

الثقافى من الكبار إلى الصغار فى حركة ديناميكية ؛ كما تقوم على نماذج لها قدر من العمومية ، وعلى تبسيط المعارف ، والخبرات تبعاً للقدرات فى مراحل النمو المختلفة ، وبصور مختلفة ، وبعبارات مختلفة عن تلك التى تستعمل فى الحياة اليومية[١] .

والبرامج الثقافية حين تتوسل بالإذاعة فى الانتشار بين جماهير المستمعين فإنها تنقل الثقافة من أعلى الكيان الاجتماعى إلى أسفل الكيان الاجتماعى أياً كان شكل هذا الكيان ؛ فالثقافة تتحول من الخبراء الذين يعرفون إلى الذين تقل معرفتهم . والخبرة بالشكل البديهى الظاهر تنتقل من القمة ، من الممتاز إلى الأقل امتيازاً ، أى : الذى يعرف أكثر إلى الذى يعرف أقل على أنه يجب أن نذكر هنا تحفظين نجدهما عند الإنثروبولوجيين وعلماء الفولكلور عندما يتحدثون عن الثقافة الشعبية فى انتشارها يذهبون إلى وجود حركتين متوازيتين مع ما تقدم[٢] .

- من الصغار إلى الكبار
- من القاعدة إلى القمة .

ومن تحليل المضمون تبين احتفال البرامج الثقافية بما اصطُلح عليه بالثقافة الأدبية ، والثقافة العلمية :

ويتجه أفراد الثقافة الأدبية بسبب تعليمهم وطبيعة ميولهم واستعداداتهم الفطرية إلى كل ما يمت للأدب ، بما تنطوى عليه الكلمة

---

(١) ، (٢) د . عبد الحميد يونس الثقافة والجماهير – المرجع السابق .

من عناصر الإطلاق والتعميم : كالثروة الشعرية والنثرية والدراما . والرواية والقصة وتذوق الجمال والسلاسة فى ألفاظها والسمو فى معانيها . سواء كان ذلك فى اللغة القومية أم فى اللغات الأجنبية أم فى هذه وتلك معاً .

ويتجه أفراد الثقافة العلمية إلى المواد الرياضية ، والطبيعية ، والكيمياوية والفلكية ، والبيولوجية والسيكلوجية ، ويميلون عادة إلى البحث عن الصلة بين هذه المواد وتطبيقها على الحياة اليومية تطبيقاً عملياً بجانب دراستها من الناحية النظرية البحتة . . وهذا بخلاف الثقافة الأدبية التى تميل الدراسة فيها إلى أن تكون نظرية خالصة .

وإذا كان الفن الإذاعى قد اتجه إلى الصفوة المثقفة حين خصص إذاعات كاملة تقوم على الثقافة الرفيعة — كإذاعة البرنامج الثانى — فإن الفن الإذاعى المتجه إلى الجماهير العريضة حين يخصص برامج ثقافية يتوجه بها إلى الجماهير — فإنه كذلك من خلال هذه البرامج يسعى إلى التقريب بين الثقافتين العلمية والأدبية ، كنتيجة لما لوحظ من جهالة الأدباء بالعلم وجهالة العلماء بالأدب ! وقد صور سيرتشارلس سنو فى كتابه « الثقافتان والثورة العلمية » صوراً واضحة للفروق الشاسعة بين أولئك الذين نشئوا نشأة أدبية بحتة ، وأترابهم الذين عاشوا فى معامل الأبحاث والأجهزة العلمية يقول :

«كلما ألقيت نظرة على كل من أفراد هاتين الطائفتين الذين بلغت ثقافتهم منزلة أرستقراطية ممتازة – تبين لى أنهما يتفقان فى عنصر السلالة والدم ، وفيما حبتهم الطبيعة من نعمة الذكاء ، وأنهما لايختلفان كثيراً فى الأصل الاجتماعى الذى ينحدران منه ، كما أنهما يتساويان تقريباً فى الحالة المالية ، ولكنهما برغم ما بينهما من عوامل التجانس والتشابه هذه – كفًّا عن اتصال بعضهما ببعض ، وأن الشقة بينهما من النواحي الذهنية والخلقية والسيكولوجية قد بلغت من الاتساع درجة انهارت بسببها العوامل المشتركة بينهما كافة ؛ حتى إنك إذا انتقلت من الفريق الواحد إلى الفريق الآخر فى المدينة الواحدة أو الحى الواحد – خيل إليك أنك انتقلت إلى ماوراء البحار ! » .

ولا شك أن العيب فى هذه الظاهرة ينسب ، كما جرت العادة ، إلى النظم التربوية ، كما نراها فى إنجلترا وفرنسا وفى مصر وغيرها من البلدان التى نسجت على منوالها : فمن الملاحظ أن المتعلمين والمشتغلين بالعلوم الطبيعية الحديثة فى هذه الدول لايميلون إلى عناصر الثقافة الأدبية والفنية والتقليدية ، ولايتذوقونها (إذا استثنينا الموسيقى) بسبب هذا النوع من النظام التعليمى : فمن جهابذة العلوم الطبيعة فى إنجلترا وفرنسا الذين يقرءون بعض كتب الأدب أحياناً من يعسر عليهم فهم ديكنز وشكسبير ، كما يعسر على زملائهم فى البلدان العربية فهم أبى تمام والبحترى والنابغة الذبيانى ! ولا نبالغ إذا قلنا إنهم فى هذه البلاد قلما

يلمون بشيء من مؤلفات طه حسين والعقاد وسائر رجال الأدب المعاصرين[١] .

وتأسيساً على هذا الفهم يمكن القول : إن البرامج الثقافية هى التى تتوجه إلى الجمهور العام من جهة بغية تثقيف الجماهير وهى التى تتوجه إلى ذوى الثقافتين العلمية أو الأدبية من جهة أخرى بغية تهيئة العقول لقبول الثقافة مهما تختلف فروعها ، ومهما تكن مادتها :

البرامج الثقافية بين الفكر والفن :

ومن ثم نصل إلى مجالين كبيرين من مجالات البرامج الثقافية الإذاعية كل منهما مندرج فى مفهوم الثقافة بمعناها المراد السابق :

البرامج الثقافية تقوم بالاستنارة الفكرية المحضة عن طريق تغذية العقول بما تمخضت عنه الإنسانية من نظريات وأفكار ومناهج تمس طرق السلوك بقصد الوقوف على حقيقتها أولاً ، فضلاً عن تقويمها ، وذلك عن طريق تقديم ثمار التأليف والترجمة فيما يخص مسائل الثقافة إذاعياً ، أى : تنوير الوعى العام منهجيًّا وعلمياً ويندرج فى هذا النوع من البرامج ميدان النقد الفنى من حيث الدراسة المنهجية والنظرية والفلسفية للأدب وأجناسه وعلوم الجمال . والنوع الآخر من البرامج الثقافية معنىٌّ بالنشاط الفنى وهو ينصرف جوهرياً إلى النشاط الأدبى :

---

(١) المرجع السابق .

وما يتصل به عن قرب من فنون جميلة أخرى .

وأهم ما يميز النشاط الجمالى فى البرامج الثقافية من أدب وفنون أنه مثير الفكر والشعور معاً ، مما يتيح للبرامج الإذاعية استغلال قوالب فنية ناضجة ذات أثر عميق فى الوعى وفى توجيهه وجهة إيجابية . وللأدب الصدارة فى هذا المجال ، كما يذهب إلى ذلك المرحوم الدكتور غنيمى هلال ذلك أن الأدب إذا أحكمت بنيته الإذاعية يتميز بالإقناع المثير الذى يتوجه إلى الفكر من خلال الصور السمعية ، فيمس مناطق الفكر والشعور معاً ، ويثير الإرادة إلى العمل ، كما ينمى الوعى الإنسانى ويعمقه تعميقاً .

والبرامج الثقافية – فى هذا المجال الفكرى – لاصلة لها بإلقاء الأخبار أو الأوامر ، حتى لو كانت الأوامر مشروحة فى ذاتها دون أن تدعمها النظريات والأفكار ، وإلا فقدت الثقافة الفكرية جوهرها المتحضر – كما يقول الدكتور هلال – فى خلق المواطن الإيجابى المتصرف عن اقتناع ، والمشارك بجهوده فى عصره وقومه . وفيما يخص البرامج الثقافية فى مجالها الفنى لا شك أن القوالب الأدبية إذا لم تتضح فيها القدرة الفنية ، فانفصلت فيها الفكرة عن قالبها ، وأطفأت شكلها ، فبرزت صريحة مباشرة ، فإن خطر ذلك لايقتصر على الهبوط بمستوى العمل الفنى ، ولكنه يتعدى ذلك إلى ابتذال الفكرة نفسها ، فتصبح مباشرة ، مما يخرج بها عن مجال الثقافة أولاً ، ثم يفقدها كل تأثير لها آخراً ؛ فالإحكام الفنى

يجب أن نحرص عليه فى البرامج الثقافية ، لامن أجل الفن والأدب فحسب ، ولكننا نحرص عليه ؛ لأن الأدب بدونه لايكون أدباً لأنه يهبط إلى مجرد الإرشاد أو الإعلام المباشر. وفى هذه الحال لايبعث على تحريك الفكر ولاعلى بعث الإرادة .

والسؤال الآن : ماذا يستطيع الراديو أن يقوم به فى أداء وظيفة « التثقيف » ؟ .

فى ميدان توصيل الثقافة والتأثير على الاتجاهات فكريًا وفنيًا – ينبغى أن نفرق أولاً بين الثقافة ومجالات الإعلام والأخبار ، وأن نفرق آخراً بين وسائل الاتصال بعضها وبعض مادامت المعلومات المراد توصيلها فى ظروف مماثلة وتحوى الموضوع نفسه وتخاطب الجمهور نفسه وقد أمكن إثبات هذا من خلال الأبحاث التى أجريت ؛ فقد ثبت دون أدنى شك أنه مهما تكن وسيلة الاتصال فإن كمية المعرفة التى يمكن أن يمتصها الشخص تتوقف على العوامل نفسها ، ألا وهى : مدى صلتها وصحتها من حيث المضمون ، ومدى وضوحها عند العرض وفى الوقت نفسه ومدى قدرات المستقبل واهتماماته ونشاطه فى استيعاب الثقافة[1] .

وليس هناك سبب يدعونا للقول : بأن رجل الثقافة نفسه يمكن أن يحصل على نتائج أفضل لو أنه استخدم الراديو أو التليفزيون بدلاً من

(١) الإذاعة وتعلم الكبار – مرجع سبق ص ٥٠ وما بعدها .

الاتصال المباشر ، ولكننا فى الوقت نفسه نذهب إلى أن البرنامج الثقافى الإذاعى إذا ما أُعد وقدم فى الراديو أو التليفزيون بكل المهارات الإذاعية وبكل مايحتاج إليه من المهارات الأدبية فسيكون شاملاً لكل العناصر التى لاتوجد فى الكتاب مثلاً ؛ إذ يمكن أن يستعين البرنامج بالمواد والوسائل السمعية والنظرية التى يمكن أن تساعد فى توضيح الموضوع أو الفكر من خلال التوحيد بين الشكل الفنى والمضمون الذى تكسب البرنامج كعمل فنى قوة وقيمة ، كما يكسب الفكرة أبعاداً وأعماقاً نفسية واجتماعية جديدة تتولد عنها الآثار العميقة الخصبة الإنسانية .

والإذاعة تستطيع أن تقدم الرسالة الثقافية بكل أساليب الكلمة المنطوقة : الرواية – الحوار – المحاضرة – المناقشة – التعليق – التمثيلية أو أى شكل آخر من أشكال الفن الأدبى . والإذاعة تيسر للمستمع أن يلتقى هو وكبارُ المتخصصين والمفكرين والشخصيات الثقافية والفنية فى العالم كله ، وتستطيع أن تزود العملية التثقيفية بصور سمعية للعالم المعاصر ؛ كما تستطيع أن تعرض صور التاريخ وأحداثه بالمواد التسجيلية أوعن طريق إعادة تمثيل المواقف التاريخية وبإمكان الإذاعة بشقيها الراديو والتليفزيون أن تعرض عالم الطبيعة باستخدامها الآلات الحديثة كما لم يعرض هذا العالم من قبل .

فى كثير من الأحيان نجد أن الإذاعات الحية التى تنقل الأحداث لحظة وقوعها تمثل مكاناً هاماً جداً فى تطور الرسالة التثقيفية ؛ لأن هذه

الإذاعات الحية تشعر المستمع أنه يشارك فيها وهى فى مكان حدوثها .

والإذاعة تستطيع أن تجعل من الثقافة أمراً كثير المرونة بما تسهم به من أقلمة سريعة للعالم الكثير التغير ، كما أن بإمكانها أن تكشف للوعى عن عوالم وآفاق ما كان لها أن تبين لو ظلت تجريدية ، وطالما استشهد المصلحون والمفكرون ، بل علماء النفس – بالنماذج الأدبية التى كانت من محض الخلق الأدبى ، مثل : النماذج الأدبية التى خلفها شكسبير وجوته وبلزاك وسرفانتس ، وستوفسكى . . إلخ .

وأى برنامج ثقافى إذاعى يمكنه أن يتوسل بأساليب الإنتاج والإخراج التى تشد الانتباه ، وتجذب الناس ، بل تسهم فى التنوير بما تعرضه من تحديات للذهن ؛ كما تستطيع أن تؤثر على المشاعر والاتجاهات ، لأنها تصل إلى جماهير تختلف من حيث قدرتها الذهنية لم يكن من الممكن الوصول إليها إلا عن طريق الجديد جداً من الوسائل السمعية كل هذا يمنح الراديو مكاناً متميزاً من جيث قدرته على التثقيف ، بل على إثارة الرغبة فى الثقافة .

البرامج الثقافية
فى البرنامج العام وصوت العرب

وفى الصفحات التالية تقدم الكاتبة نتائج دراستها فى تحليل المضمون للبرامج الثقافية فى مصر– (البرنامج العام وصوت العرب خلال عام ١٩٧٨) ، والتى تحاول الإجابة على عدد من التساؤلات حول الدور الذى يقوم به الراديو تجاه الثقافة العربية المعاصرة ، وكيفية قيامه بهذا الدور ، وما هو المضمون الذى تنقله البرامج الثقافية ، وما هى خصائصها الفنية . وقد اعتمدت هذه الدراسة على أسلوب تحليل المضمون ، كأسلوب علمى يستخدم لوصف مختلف أوجه مضمون الإتصال بأسلوب مختصر ، بل وللتنبؤ بعدد من الوقائع أو الأحداث ، من خلال البرامج الثقافية فى الإذاعة المسموعة .

نتائج تحليل المضمون

الافتراض الأول : أن البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب تحقق التكامل بين المحلية والقومية» .

دلت الإحصاءات على أن البرنامج العام يعتمد على الدائرة المحلية

المصرية كمصدر ثقافى بنسبة ٨٨,٨٥٪ فى حين بلغت نسبة الدائرة العربية كمصدر ثقافى للبرنامج العام ٣,٢٩٪ وزادت نسبة الدائرة العالمية أو الإنسانية عن الدائرة العربية فبلغت ٧,٨٤٪ وهى الدائرة التى يتم بواسطتها الانتساب إلى حضارة العصر وثقافاته.

أما صوت العرب فقد كانت الدائرة المصرية فى مصادر برامجه الثقافية أقل منها فى البرنامج العام حيث بلغت ٤٨,٥٥٪ فى حين زادت الدائرة العربية عنها فى البرنامج العام ووصلت فى صوت العرب إلى ٣٧,٣٣٪ ، أما الدائرة العالمية فقد وصلت إلى ١٣,٩٩٪ .

ومن ذلك يتضح أن الدائرة العربية تتوسط هذه الدوائر الثلاث فى صوت العرب ، وفى ذلك ما يشير إلى الرسالة العربية لهذه الإذاعة ، الأمر الذى يشير كذلك إلى أن لإذاعة صوت العرب شخصية متميزة تتسم بالطابع العربى فى حين تتسم إذاعة البرنامج العام بالطابع المصرى الإنسانى العربى ، ويبين الجدول التالى نسب الدوائر الثقافية الثلاث فى الإذاعتين :

جدول رقم (١) — المصادر الثقافية

الفئة / الإذاعة	الدائرة المصرية	الدائرة العربية	الدائرة العالمية	المجموع
	٪	٪	٪	٪
البرنامج العام	٨٨,٨٥	٣,٢٩	٧,٨٤	١٠٠
صوت العرب	٤٨,٥٥	٣٧,٣٣	١٣,٩٩	١٠٠
الفارق النسبي	+٤٠,٢٣	—٣٤,٤	—٦,١٥	—٣٢,

ومن هذا الجدول يتبين أن الدائرة المصرية فى البرنامج العام تتفوق عليها فى صوت العرب بفارق نسبي +٤٠,٢٣٪ فى حين تقل الدائرة العربية فى البرنامج العام عنها فى صوت العرب بفارق نسبى —٣٤,٤٪ ، أما الدائرة العالمية فتقل كذلك فى البرنامج العام عنها فى صوت العرب بفارق نسبي — ٦.١٥ ٪ .

ولعل هذه النتيجة تفسر ما أسفرت عنه مؤشرات الاستماع والمشاهدة فى القاهرة عام ١٩٧٧ (١) حيث جاء ترتيب البرنامج العام الأول بنسبة

(١) مجلة الإذاعات العربية ع ١٠٢ فى أبريل — نيسان ١٩٧٨ .

٧٨,٨٪ ، أما صوت العرب فبنسبة ١٩,٢٪ . فهل ترتبط أفضلية الاستماع بالطابع المصرى للبرنامج العام ، وهل نسبة الاستماع لصوت العرب ترتبط بكونها إذاعة موجهة للعالم العربى ؛ يشكل المستمع المصرى جزءاً من جمهورها ؟

ولعل فى ذلك أيضاً ما يفسر رغبات ومقترحات الجمهور حول برامج الإذاعة من حيث[١] :

١ – التنسيق بين الإذاعات المحلية والتعاون فيما بينها .

٢ – عمل جولات للميكروفون فى مواقع العمل لمعايشة الأحداث .

٣ – إذاعة الحفلات الخارجية على الهواء مباشرة .

ويتضح من تحليل المضمون هنا ؛ أن الافتراض الأول يتفق مع ما ذهبت إليه الباحثة فى دراساتها ؛ حول الوحدة والتنوع فى مضمون البرامج الثقافية ؛ إلى جانب أن ما أسفر عنه تحليل المضمون حول هذا الافتراض يتفق مع ما ذهبت إليه السياسة الثقافية فى مصر[٢] التى أكدت أن هناك فضيلتين تمثلان الأسس القومية لثقافتنا :

١ – ثقافة مصرية عربية تقوم على الدين .

٢ – وطنية ولكنها غير مغلقة على الثقافة العالمية ولكنها مواكبة لها . ومن ثم ينفتح الباب لما نصبو إليه من علم وتكنولوجيا .

---

(١) نفس المرجع ص ٥٣ .

(٢) المؤتمر العام للثقافة والإعلام ٢٨ – ٣٠ مارس ١٩٧٧ – التوصيات ص ٤ .

الافتراض الثانى : نسبة البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب أقل بالمقارنة مع البرامج الترفيهية والبرامج الإعلامية والسياسية .

وقد تأيد هذا الافتراض تأييدًا مطلقًا ؛ إذ دلت الإحصاءات على أن البرامج الثقافية فى البرنامج العام وصوت العرب أقل بالمقارنة مع البرامج الترفيهية والبرامج الإعلامية والسياسية .

ففى البرنامج العام بلغت نسبة البرامج الثقافية ١٠,٦٢٪ فى حين بلغت نسبة البرامج الترفيهية ٤٦,٣١٪ والبرامج الإعلامية ٢٠٪ .

وفى صوت العرب بلغت نسبة البرامج الثقافية ٧٪ فى حين بلغت البرامج الترفيهية نسبة ٥٤,٩٨٪ والبرامج الإعلامية نسبة ٢١,٩٨٪ .

وتتضح هذه النسب فى الجدول التالى :

جدول رقم (٢) البرامج الثقافية والبرامج الترفيهية والإعلامية

الفئة / الإذاعة	البرامج الثقافية	البرامج الترفيهية	البرامج الإعلامية
	٪	٪	٪
البرنامج العام	١٠,٦٢	٤٦,٣١	٢٠
صوت العرب	٧	٥٤,٥٨	٢١,٩٨
الإذاعتان معا	٨,٨١	٥٠,٤٥	٢٠,٩٩

– كما تأيد ذلك الافتراض أيضاً عن طريق المتوسط الحسابى كالآتى :

متوسط البرامج الثقافية = ٠٨,٨١٪

متوسط البرامج االترفيهية = ٥٠,٤٥٪

متوسط البرامج الإعلامية = ٢٠,٩٩٪

ومن ذلك تتضح الإجابة على السؤال المطروح فى مدخل هذا البحث ، حيث لا تعمل الإذاعة المسموعة على توفير خلفية ترفيهية فحسب ، ولكنها تقوم بالفعل بتبسيط الثقافة وتقديمها فى شكل مستساغ

لجمهورها على اختلاف نوعياته ؛ وإن كانت نسبة قيامها بهذه الوظيفة التثقيفية دون المستوى المطلوب ، حتى يتم التوازن بين الترفيه والثقافة فى مضمون البرامج الإذاعية .

وقد أوصى المؤتمر العام للثقافة والإعلام[1] بضرورة الاهتمام بدعم النشاط الثقافى للإذاعة بحيث تساهم فى بناء الإنسان المصرى المثقف بالمعنى الشامل للثقافة ، والقادر على مواكبة العصر الذى يعيش فيه ، وكذلك تحرص على التخطيط للزاد الثقافى .

الافتراض الثالث : إن البرامج الثقافية فى الإذاعة تتكامل مع وسائل الثقافة والفنون وتروج لها مثل : الصحافة – الكتاب – المسرح – السينما – الموسيقى من خلال برامج تخصص لهذا الغرض .

١ – بلغت نسبة البرامج التى تؤدى هذه الوظيفة فى البرنامج العام ٦٠,٤٣٪ وفى صوت العرب ٥٠,٤٦٪ وفى الإذاعتين معًا بمتوسط ٥٥,٤٦٪ .

٢ – وقد احتلت الموسيقى الدرجة الأولى بين الوسائل الثقافية التى تروج لها الإذاعة ، حيث بلغت نسبة متوسط الإذاعتين بالنسبة للموسيقى ١٥,٤٪ فى حين يخصص البرنامج العام ١٦,٥١٪ وصوت العرب ١٤,٣٪ للموسيقى .

---

(١) المرجع السابق .

جدول رقم (٣)

المجموع	الفئة / الإذاعة	الصحافة	الكتاب	المسرح	السينما	الموسيقى	المتاحف والآثار	الفنون التشكيلية
٪		٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
٦٠,٤٣	البرنامج العام	١	١٠,	١٤,٣٦	١٠	١٦,٥١	٣,٥٦	٥
٥٠,٤٦	صوت العرب	٤,٧٦	٣,٧٣	١٤,	٦	١٤,٣١	٥,٦٧	٢
٥٥,٤٤	الإذاعتان معاً	٢,٨٨	٦,٨٧	١٤,١٨	٨	١٥,٤	٤,٧	٣,٥

ويحتل المسرح الترتيب التالى حيث بلغ متوسط ما يخصص للمسرح فى الإذاعتين ١٤,١٨٪ ، يقدم البرنامج العام ١٤,٣٦٪ وصوت العرب ١٤٪ للمسرح ومن تحليل هذا الافتراض يتأكد ما ذهبت إليه الباحثـة فى دراسة حول تكامل الإذاعة مع أجهزة الثقافة والفنون ؛ وتتفق هذه النتيجة مع مالاحظه بول لازر سفيلد وباتريشيا كندال حول زواية «كل شئ أو لاشئ»[١] فى السلوك الاتصالى ؛ ذلك أن الشخص الذى يكون تعرضه لوسيلة ما فوق المتوسط يميل إلى أن يكون تعرضه

(١) وليام ل. ريفرز وآخرون (ترجمة د. إبراهيم إمام) : وسائل الأعلام والمجتمع الحديث ص ٣٤٢ – دار المعرفة – القاهرة ١٩٧٥ .

فوق المتوسط أيضا ، بالنسبة لسائر الوسائل . ويميل المتحمس للاستماع إلى الراديو إلى أن يكون متحمسًا ، أيضا ، لمشاهدة السينما ، ومن ناحية أخرى يذهب لازرسفيلد وميرتون إلى أن قاعدة «كل شئ أو لاشئ» تنبثق عن الاهتمام والفرص المتاحة ، فالشخص الذى تهمه المادة الهروبية قد يجدها فى الكتب أو المجلات ، أو الإذاعات ، وكذلك فإن الشخص الذى يهتم بالمسائل العامة ، قد يبحث عنها فى الصحف والكتب .

وقد احتل المسرح فى الإذاعتين المرتبة التالية للموسيقى بنسبة ١٤,١٨٪ ولعل فى ذلك ما يؤيد ما ذهبت إليه الباحثة فى الفصل السادس بشأن المسرح وما ذهب إليه المؤتمر العام للثقافة والإعلام من ضرورة «تحقيق «ديمقراطية» المسرح وتوصيل نشاطه إلى أوسع قطاعات الجماهير . والحرص على تنوع طبيعة العروض وتعدد مستوياتها بما يلائم كافة الفئات والمستويات الثقافية» .

ويتضح دور الإذاعة بإزاء تحقيق ديمقراطية المسرح فى ضوء مالاحظه المؤتمر من خلال المحاولات السابقة ، أنه قد تعذر قيام واستمرار حركة مسرحية قوية خارج القاهرة «حتى المحاولات المكثفة فى محافظة كبيرة تتميز بكل ملامح التقدم العمرانى كمحافظة الإسكندرية كان مصيرها أن شحبت وضمرت ثم اختفت ، ويرجع هذا فى رأى المؤتمر إلى الأفتقار إلى التكامل الثقافى والإعلامى ، لأن وجود حركة مسرحية دائمًا فى مدينة اليوم لا يمكن أن يتحقق بغير تعايش هذه الحركة مع

حركة أعرض للثقافة والإعلام تتمثل فى صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما وموسيقى وغيرها ، وهنا يصبح دور الإذاعة بالنسبة للمسرح ، مرتبطاً بالهدف الكبير : تحقيق ديمقراطية الثقافة بوجه عام ، والمسرح بوجه خاص .

ولذلك فإن برامج المسرح فى إطار البرامج الثقافية ينبغى أن تعمل على تشجيع الإبداع الفنى الذى يستلهم التراث القومى والشعبى ، وتناوله بالدراسة والنقد والإذاعة . والاحتفاء بالتراث الإنسانى قديمه وحديثه مع العناية بانتقاء الأعمال وثيقة الصلة من حيث مضمونها بالقضايا الفنية والاجتماعية على المستويين القومى والعالمى .

أما السينما فقد احتلت فى تحليل مضمون البرامج الثقافية نسبة للمرتبة التالية للمسرح فى الإذاعتين (٨٪) ، فى البرنامج العام ١٠٪ وفى صوت العرب ٦٪ ؛ واهتمام البرامج الثقافية بالسينما ؛ كذلك يستهدف نشر الثقافة السينمائية التى لا تصل إلى كل الجماهير ، نتيجة للنقص فى دور العرض ، وقد تبين من بحث للمركز القومى للبحوث الاجتماعية أن ٥٩,٩ من مشاهدى السينما يسمعون الأفلام التى تذيعها الإذاعة ، الأمر الذى يؤكد ضرورة تخصيص برامج للسينما فى إطار البرامج الثقافية .

وقد احتل الكتاب المرتبة التالية للمسرح فى الإذاعتين بنسبة ٦,٨٧ ، ولكن الاهتمام بالكتاب فى البرنامج العام يصل إلى ١٠٪ فى حين يصل فى صوت العرب إلى ٣,٧٣٪ ، وإن كانت هذه النسب تشير

إلى أن الاهتمام بالكتاب لا يحتل المرتبة اللائقة بمكانته كوسيلة من أهم وسائل الثقافة وأعمقها أثرًا ؛ الأمر الذى يجعل اهتمام البرامج الثقافية بالكتاب وتنمية الوعى القرائى ضرورة لمواجهة المنافسة الخطرة للأجهزة الأخرى ، فالبرامج الثقافية مطالبة بأن تغرس فى العقل العربى أن الكتاب هو أقرب وسيلة تثقيفية مؤثرة تلازم الإنسان ، وتظل فى متناول يده تلبى احتياجاته الروحية والعلمية فى أى زمان ومكان .

وما يقال عن الكتاب يقال عن الصحافة ، وما تقدمه من صفحات ثقافية ينبغى أن يرتبط بها المستمع المصرى والعربى ، وقد تبين أن البرنامج العام لا يحتفى بالصحافة احتفاء صوت العرب بها ، حيث النسبة هى ١٪ : ٤,٧٦ ٪ ، وقد تبين ذلك فى دراسة للباحثة من قبل عن برنامج عالم المجلات الذى يقدم صفحات ثقافية من مجلات العالم العربى . أما المتاحف والآثار ٣,٥٦٪ فى البرنامج العام و ٥,٦٧٪ فى صوت العرب فشأنها شأن الفنون التشكيلية تحتاج إلى إعادة نظر فى خريطة البرامج الثقافية ، حتى تساهم فى تنمية الذوق الفنى والحضارى ، فالفنون التشكيلية تحظى بنسبة ٥٪ فى البرنامج العام وبنسبة ٢٪ فى صوت العرب ، وهى نسب فى مجموعها تشير إلى ضرورة إعادة النظر فى تكامل البرامج الثقافية مع أجهزة الثقافة والفنون بوجه عام .

الإفتراض الرابع : «أن اللغة فى البرامج الثقافية فى صوت العرب هى العربية الفصحى المشتركة فى حين تتوسل فى البرنامج العام بالعامية أحيانًا» .

وقد ثبت من تحليل المضمون صحة هذا الافتراض ، فإذا أضفنا نسبة استخدام الفصحى مع العامية إلى نسبة الفصحى الخالصة ، لوجدنا أن هذا الافتراض تؤيده الأرقام إلى حد كبير ، فتصبح نسبة الاتجاه إلى الفصحى فى البرنامج العام ٧٢,٧٤٪ وفى صوت العرب ٩٦,٤٠٪ ، ولعل فى ذلك ما يؤكد الافتراض القائل بأن الإذاعة عامل جوهرى هام يعمل على تقارب المجتمعات ، فى نطاق اللغة القومية العامة ، وطبيعى أن اللغة العامة أو المشتركة غير اللهجات المحلية أو الطبقية الخاصة .

كما يمكن القول أن تحليل المضمون هنا قد أيد الافتراض القائل بأن الإذاعة تحقق الوساطة بين الفصحى واللهجات العامية ، ذلك أن استخدام الفصحى مع العامية فى البرامج الثقافية قد وصل متوسطه فى الإذاعتين إلى نسبة ٥٦,٦٢٪ وهذه النسبة تشير إلى التقارب الذى يمكن أن تحدثه الإذاعة بين العامية والفصحى ، وهو الأمر الذى يقول عنه

الدكتور شرف[1] أنه يؤدى باللهجة الفصحى لتكون أكثر مرونة مما كانت وتتخلص من كثير من الظواهر التى لصقت بها عن طريق التدوين وعن طريق التقعيد . ونجد فوق هذا كله أن اللغة العامية تلتقى بالفصحى ، ولعل بروز هذه الظاهرة فى شكل الحوار بالبرامج الثقافية أن يؤكد ما ذهب إليه الدكتور شرف من أن المتحدثين كلامهم — كمتعلمين قريب جداً من الفصحى ، وإن مال إلى الوقف والتحرر من الإعراب بعض الشىء .

الافتراض الخامس : أن البرامج الثقافية تقابل مختلف الأذواق والميول والتخصصات :

(ا) بسبب تنوع براجها وموضوعاتها وجمعها بين ألوان مختلفة من المعارف الإنسانية . ويتضح ذلك فى الجدول التالى :

---

(١) د . عبد العزيز شرف : الاعلام ولغة الحضارة ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ، ص ١٧ .

جدول رقم (٤)

موضوع الاتصال فى البرامج الثقافية

الإذاعة / الفئة	الثقافة الأدبية	الثقافة العلمية	الثقافة الفنية	الأحاديث والمعارف العامة	المجموع
	٪	٪	٪	٪	٪
البرنامج العام	١٩,٢٨	٧,١٣	٦٠,٤٣	١٣,١٣	١٠٠
صوت العرب	٧,٤٧	١٢,١٥	٥٠,٤٦	٢٩,٩	١٠٠
الإذاعتان	١٣,٣٨	٩,٦٤	٥٥,٤٦	٢١,٥٢	١٠٠

ومن هذا الجدول يتضح أن البرامج الثقافية فى الإذاعتين تقدم ثقافة أدبية :

(فى البرنامج العام ١٩,٢٨٪ وصوت العرب ٧,٤٧٪) وثقافة علمية

(فى البرنامج العام ٧,١٣٪ وصوت العرب ١٢,١٥ ٪) وثقافة فنية

(البرنامج العام ٦٠,٤٣ وصوت العرب ٥٠,٤٦) ومعارف عامة (البرنامج العام ١٣,١٣٪ وصوت العرب ٢٩,٩٪).

(ب) (بسبب استخدام الأشكال الإذاعية المختلفة فى تقديم الثقافة للمستمع فى شكل جذاب يفيد من إمكانات الإذاعة) ويوضح الجدول التالى مدى صحة هذا الافتراض.

جدول رقم (٥)

الفئة / الإذاعة	الحديث والندوة	المنوعات	الحوار	الشكل الدرامى	المسابقات	المجلة الإذاعية	موسيقى تحليل	مجموع
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
البرنامج العام	٢٨,٥٦	١٢,٨٤	١٨,٥٦	٢٦,٤٢	٢,١٣	٤,٩٩	٦,٤٣	١٠٠
صوت العرب	٢٩,٨٧	٨,٤١	١٧,٧٤	١٥,٨٧	—	٢٢,٤١	٦,٥٤	١٠٠
الإذاعتان	٢٩,٥١	١٠,٦٢	١٨,١٥	٢١,١٤	١,—	١٣,٧	٦,٤٨	١٠٠

ومن هذا الجدول يتضح أن شكل الحديث أو الندوة يحتل المرتبة الأولى فى الإذاعتين بنسبة ٢٩,٥١٪ فى حين يحتل الشكل الدرامى ٢١,١٤٪ فى الإذاعتين المرتبة الثانية ، أما الحوار فيحتل المرتبة الثالثة ١٨/١٥٪ والمجلة الإذاعية ١٣,٧٪ والمنوعات ١٠,٦٢٪ والموسيقى والتحليل ٦,٤٨٪ أما شكل المسابقات فيحتل المرتبة الأخيرة ١٪ .

وإن كان ذلك يقتضى بالضرورة إعادة النظر فى نسبة الأشكال الإذاعية على ضوء ما تسفر عنه بحوث المستمعين ، فمثلاً فى حين يحتل شكل المسابقات ١٪ فى تحليل المضمون ، نجد أن آخر بحث أجرى على المستمعين فى ١٩٧٧ يتضمن من البرامج المفضلة التى توقفت ويطلب الجمهور إعادتها فى الإذاعة برنامجين فى شكل المسابقات هنا : جرب حظك وبرنامج ٤٦١٢٠ ، وقد احتل برنامج المسابقات الوحيد الذى تقدمه إذاعة البرنامج العام وهو «الغلط فين» مكاناً بين خمسة برامج يفضلها المستمع من برامج البرنامج العام .

(جـ) (بسبب سعى البرامج الثقافية للتقريب بين أصحاب الثقافتين العلمية والأدبية ، من خلال تقديم برامج أدبية وبرامج فى تبسيط العلوم) .

وقد تبين أن البرنامج العام يقدم برامج أدبية بنسبة ١٩,٢٨٪ وبرامج فى تبسيط العلوم بنسبة ٧,١٣٪ بفارق نسبى – ١٢,١٥٪ فى حين يقدم

صوت العرب فى الثقافة الأدبية ٧,٤٧٪ وفى تبسيط العلوم ١٢,١٥٪ بفارق نسبي + ٤,٦٨٪ .

ومن ذلك يتضح أن الأدب يحتل الصدارة فى البرنامج العام بفارق نسبي – ١٢;١٥ فى حين يحتل تبسيط العلوم فى صوت العرب الصدارة بفارق نسبي + ٤,٦٨٪ .

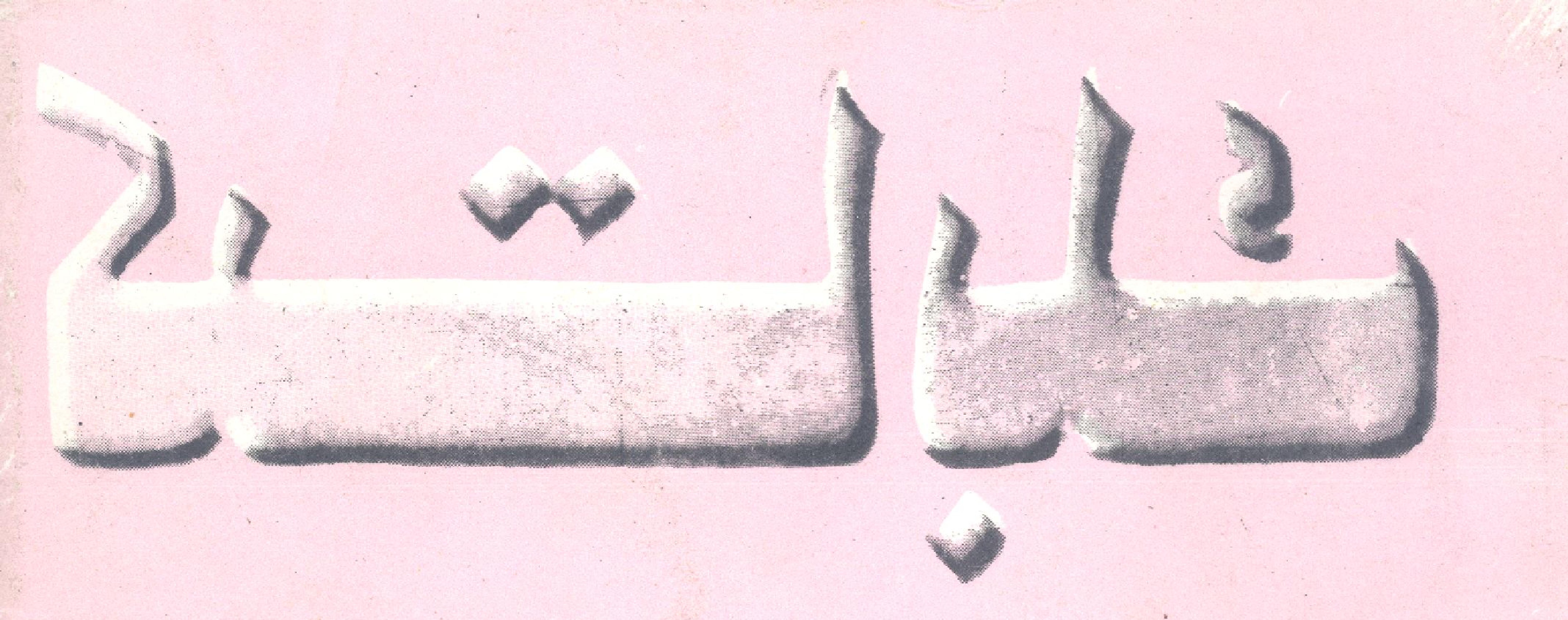
ولا يسع الباحثة إلا أن تؤكد أن جميع ما قدمته من نتائج ليس إلا مجرد نتائج استطلاعية فقط .

ولا يسعها كذلك إلا أن تشكر لأستاذيها الدكتورة جيهان رشتى والدكتور سمير محمد حسين ما أسدياه من عون ومن توجيهات أفادت منها فى مسيرتها العلمية . والله ولى التوفيق .

رقم الإيداع	١٩٨٣/٢١٦٧
الترقيم الدولى ٣-٠٣٦٥-٠٢-٩٧٧	ISBN

١/٨٠/٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



هـذا الكتاب

تقدم هذه الصفحات صورة دقيقة لوظيفة الفن الإذاعى فى خدمة المجتمع الحديث من الناحية الثقافية . .

وهي وظيفة أصبحت ملحة فى ميدان التنافس الإعلامى ، الذى تتسابق فيه كثير من أدوات الاتصال المؤثرة على الوجدان البشرى . . فى عالم التكنولوجيا الحديثة .

